مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (٨) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (8) 2021

الإستراتيجيَّةُ التَّلْمِيْحِيَّةُ والمَعْنَى السِّيَاقِيّ "التَّواصليّ" فِيْ خِطَابِ الحِكْمَةِ الشِّعْرِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ "دِرَاسَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ"

*** أ. د. أسمهان عزيز صالح**

**** أ. د. مصطفى حسن حدّاد**

***** خالد عبد الحميد الأحمد**

(تاريخ الإيداع ١٤ /١٠ /٢٠٢١. قُبِل للنشر في ٢٣/١١ /٢٠٢١)

□ ملخّص □

توزَّعتِ المنَاهجُ النَّقديَّةُ في دراسَةِ الأدَبِ بينَ مناهجَ تدرسُ الظُّروفَ الخارجيَّةَ المُحِيْطةَ بالنَّصّ، ومناهجَ تدرسُ نفسيَّةَ المُبْدِعِ، وانْعِكاسَ أثرها في النَّص، وثالثةٍ تدرسُ النَّصَّ بمَعْزِلٍ عنْ هذا وذاك إذْ تهتَمُّ بلُغةِ النَّصّ فحسب، حتَّى شاعتْ مع ظُهورِ البنيويةِ عبارةُ "موْت المُؤلِّف"، ومع هذا الجوّ النَّقديّ العام ظلّتْ لديْنا ضرورةٌ تستوْجِبُها حياتُنا المُعاصِرةُ وتُمْلِيْها حاجَتُنا إلى منْهجٍ نقديٍّ يبْتَعدُ عن الإفتراضاتِ المُسْبَقة لقراءةِ النَّص والآراءِ المُطْلَقةِ فيهِ ويَهتَمُّ بكُلّ ما يُحيْطُ بالخطابِ مِنْ خارِجِهِ وما يدخُلُ في نسيجِهِ ومحتواهُ، حتّى ظهرتِ الدِّراساتُ اللسانيَّةُ الحديثةُ وقدَّمتْ في أحدِ فروعِها الدَّرسَ التَّداوليَّ الّذي يقرأُ أصحابُهُ النَّصَّ الأدبيَّ بوصْفِهِ خطاباً، ويدرُسُ لغتَهُ على أنَّها كلامٌ مُوجَّهٌ لإقامةِ تَواصُلٍ إنسانيٍّ؛ أي يدرسُ اللُّغةَ في حالِ اسْتِعْمالِها، ويهتمُّ بكلّ ما يحيط بعمليَّةِ التَّخاطُبِ وإنَّ شكْلَ الخِطابِ لَيَخْتَلِفُ بحسبِ الإستراتيجيَّةِ الَّتي يأتي ضِمْنَ إطارِها إذْ إنَّ المُرْسِلَ يخْتارُ إستراتيجيَّةَ خِطَابِهِ وفْقاً لمُخَاطَبِيْهِ والموْقِفِ التَّواصُليّ العام. وتأسيساً على هذا التَّوجُّه النَّقديّ يسعى بحثُنا إلى دراسةِ شعر الحكمةِ في الشِّعرِ الجاهليّ دراسةً لغويَّةً أدبيَّةً تبيّنُ توافُقَ النَّسيجِ اللغويّ للنَّصّ معَ ظروفِ التَّواصُلِ والإستراتيجيَّةِ المُتَّبَعَةِ في توجيهِهِ إلى الآخر، مبيّناً أنَّ التَغييرَ في شكلِ الخطابِ يكونُ تبعاً لمقاصدِ المُرسِلِ ومحتوى الرِّسالةِ، وتعدَّدتِ المواقِفُ التَّواصُليَّةُ في نُصُوْصِ الحِكْمَةِ الَّتي وصلتْنا منَ العَصْرِ الجاهِليّ في قَوَالِبَ شِعْرِيَّةٍ وتَنَوَّعتْ سياقاتُها بِحَسَبِ المَقامِ الَّذي هوَ جَوُّ الخِطابِ الخارِجِيُّ ومُحْتَوَاهُ الدَّاخِلِيُّ، واخْتَلَفَت إستراتيجيَّاتُها تِبْعاً لِذلِكَ وَخِدْمَةً لِمَضْمُوْنِ الحِكْمَةِ الَّتي يُرادُ تَوْجيْهُهَا في سياقٍ ما. ومِنْ هذِهِ الإستراتيجيَّاتِ الإستراتيجيَّةُ التَّلْمِيْحِيَّةُ– فهي محور بحثنا هذا– الَّتي يسْتعِيْنُ بها المُرْسِلُ في مَوَاقِفَ تَوَاصُلِيَّةٍ يتَعَذَّرُ فِيْها التَّصْرِيْحُ اِحْتِراماً للمَقَامِ أو لأيّ عُنْصُرٍ سيَاقِيٍّ آخر، لِيُوجِّهَ الشَّاعرُ حِكْمَتَهُ عنْ طرِيْقِ التَّلْمِيْحِ إلى مضْمُوْنِ الحِكْمَةِ وَقَصْدِ الخِطَابِ بِاسْتِخْدامِ أدواتٍ لغوِيَّةٍ وبلاغِيَّةٍ مُختَلِفة.

الكلمات المفتاحيَّة: التَّلْميح، الإستراتيجيَّة، الحكمة، الحرفيّ، السِّياقيّ، التَّداوليَّة.

*أستاذ– قسم اللُّغة العربيَّة– كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة– جامعة طرطوس– طرطوس– سورية.

**أستاذ– قسم اللُّغة العربيَّة– كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة– جامعة تشرين– اللاذقيَّة– سورية.

***طالب دراسات عُليا(ماجستير)– قسم اللُّغة العربيَّة– كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة– جامعة طرطوس– طرطوس– سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (٨) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (8) 2021

Allusive strategy and "communicative" contextual meaning in the discourse of pre-Islamic poetic wisdom ((A Pragmatic study))

***Prof. Asmahn Aziz Saleh** [١]
****Prof. Mustafa Hassan Haddad**
***** Khaled Abd El Hamed Al Ahmed**

(Received 14/10 /2021. Accepted 23/11/2021)

□ ABSTRACT □

The critical curricula in the study of literature were divided between curricula that study the external circumstances surrounding the text, curricula that study the psychology of the creator and the reflection of its impact on the text, and a third that studies the text in isolation from this. And that is if you only care about the language of the text, until the phrase "the death of the author" has spread, Became Widespread With The emergence of The Structuralism. From this general critical atmosphere, we have continued to have a necessity required by our contemporary life and dictated by our need for a critical approach that moves away from the presuppositions of reading the text and the absolute opinions in it. It is concerned with everything that surrounds the discourse from outside and what enters into its fabric and content, until modern linguistic studies appeared and presented in one of its branches the pragmatic lesson whose companions read the literary text as a discourse and study its language as speech directed to establish human communication. That is, he studies the language if it is used, and is concerned with everything that surrounds the process of communication, and that the form of the speech varies according to the strategy that comes within its framework, as the sender chooses his speech according to whom he addresses and the general communicative situation. Based on this critical orientation, The research seeks to study the poetry of wisdom in pre-Islamic poetry, a literary linguistic study that shows the compatibility of the linguistic texture of the text with the conditions of communication and the strategy used in directing to the other. Indicating that the change in the form of the speech follows the intentions of the sender and the content of the message, and the communicative attitudes were varied in the texts of wisdom that we received from the pre-Islamic era in poetic templates, and their contexts varied according to the place that is the atmosphere of the external discourse and its internal content, Among these allusive strategies - they are the focus of our research - that the sender uses in communicative situations in which it is impossible to declare out of respect for the shrine or any other contextual element, so that the poet directs his wisdom by alluding to the content of wisdom and the intent of the speech using different linguistic and rhetorical tools.

Keywords: hint, strategy, wisdom, literal, contextual, pragmatics

[1]* Professor of Arabic Language Department - Faculty of Arts and Humanities - Tartous University - Tartous - Syria.
** Professor of Arabic Language Department - Faculty of Arts and Humanities- Tishreen University - Lattakia– Syria.
*** Postgraduate Student (Master) Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Human Sciences - Tartous University - Tartous – Syria.

.

المقدمة:

تظهرُ الحكمةُ في الأدبِ ظهوراً حيَّاً في قالَبَيْهِ الشِّعريّ والنَّثريّ فلا يكادُ ضوْءُ الحكمةِ يخبو في أدبنا العربيّ على مرّ العصُورِ واخْتِلافِ ظروفِها وانْعِكاسِ ذلكَ على أدَبِ كلّ عَصْرٍ على حِدة، ولا ريْبَ أنَّ دراساتٍ وبحوثاً قامتْ على الحكمةِ في كُلّ أدبٍ وعصرٍ ولعلَّ الاهتمامَ الأكبرَ في تِلكَ الدِّراساتِ كانَ منصّبَّاً على توْصِيْفِ شعرِ الحكمةِ وتعريفِهِ وأهمّ قائِلِيْه وتحليلِ النَّماذجِ تحليلاً أدبيَّاً صِرْفاً، أما هذا البحثُ فيدرسُ شِعْرَ الحكمةِ دراسةً لغويَّةً وأدبيَّةً وذاكَ أنّهُ يبيّنُ توافقَ النَّسِيجِ اللغويّ للنَّصّ مع ظروفِ التَّواصُلِ والإستراتيجيَّةِ المُتَّبَعةِ في توجيهِهِ خطاباً إلى الآخرِ، ويكونُ التَّغييرُ في شكْلِ الخطابِ تِبْعاً لِلإستراتيجيَّةِ وخِدمةً لمقصدِ المُرْسِلِ ومحتوى الرِّسالةِ، ويتجلَّى التَّغيِيْرُ في (المعجم اللفظيّ و التَّركيب النَّحويّ و الدّلالات والإشارات)، وغَيْرُ ذلكَ ممَّا نلْحَظُهُ سيميائيَّاً مِن حركاتٍ وإيماءاتٍ وتبدُّلاتٍ على المستوى الصَّوتيّ تبيّنُ صفةَ الخطابِ وإستراتيجيَّتَهُ وهدفَ المُرْسِلِ في سياقٍ ما. وفي سبيلِ الوصولِ إلى المعنى السِّياقيّ في خطابِ الحكمةِ الجاهليَّةِ الشِّعريَّةِ، والوقوفِ على مضمونِ الحكمةِ الموجَّهة، يسوقُ البحثُ النُّصوصَ الشعريَّةَ الَّتي تتضمَّنُ الحكمةَ ويدرسُها وفقَ معطيات الإستراتيجيَّةِ التَّلميحيَّةِ. فتأتي الدِّراسةُ في ثلاثِ نقاطٍ أساسيَّةٍ يسبقُها مقدَّمةٌ وتمهيدٌ يبيّنُ ثنائيَّةَ المعنى الحرفيّ والمعنى التَّواصُليّ والعلاقةَ بينَهما، وأمَّا النقطةُ الأولى فتبيّنُ المقاربةَ الاستدلاليَّةَ بيْنَ التَّصريحِ والتَّلميحِ في إنشاءِ الخطابِ وبيْنَ الصَّريحِ والضّمنيّ في المعنى المُرادِ إذْ يهتدي القارئ في تأويلِ الخطابِ إلى المعاني الحرْفيَّةِ المُصرَّحِ بها غير المُرادة والمعاني الخطابيَّةِ "السِّياقيَّة" المُلمَّحِ إليها المُرادة، وأمَّا النُّقطةُ الثَّانيةُ فتتضمَّنُ توضيحاتٍ مُوجَزَةً حوْلَ الإستراتيجيَّةِ التَّلميحيَّةِ ومفهومِ التَّلميحِ والدِّراساتِ العربيَّةِ والغربيَّةِ حولَهُ، وتأتي النُّقطةُ الثَّالثةُ لتُفَصِّلَ القوْلَ في أدواتِ الإستراتيجيَّةِ التَّلميحيَّةِ مِنْ أدواتٍ لغويَّةٍ وأدواتٍ بلاغيَّةٍ، إذْ يبتعدُ المرْسِلُ مِنْ خلالِ هذهِ الأدواتِ عنِ المُباشرةِ إلى الأسْلوبِ الإيحائيّ فيستَخْدِمُ الألفاظَ الَّتي تحْمِلُ المعاني على أكْثَرِ مِنْ وَجْهٍ وتكْثُرُ في تراكيبِهِ ظاهرةُ العدوْلِ كما يعتمدُ الأساليبَ البلاغيَّةَ وذلكَ في سبيلِ تحْميلِ الخطابِ دلالاتٍ خفيَّةً وراءَ العباراتِ تكونُ تلكَ الدّلالاتُ هيَ المقصودةُ والمُرادُ إيْصالُها، وفي دراسةِ الحكمةِ على ضَوْءِ هذا المنْهَجِ ستكوْنُ تلكَ الدّلالاتُ هيَ الرِّسالةُ الَّتي أرادَ شاعرُ الحكمةِ توجِيْهُها إلينا بالتَّالي تكونُ هيَ مضامينُ حكمَتِهِ، وإنَّ جُلَّ مساعيْنا في هذا التَّناولِ الجديدِ للنُّصُوصِ الشِّعريَّةِ الجاهليَّةِ الحكميَّةِ هوَ دراسةُ تداوليَّةِ خطابِ الحكمةِ الشعريّةِ في العَصْرِ الجاهليّ والوصولُ إلى مضامينِ الحكمةِ في ذلكَ العصْرِ وما يضيفُهُ التَّداولُ المُسْتَمِرُّ على تِلْكَ المضامينِ. وأمَّا مصطلحُ التَّداوليَّة[1] فَتُرْجِمَ إلى العربيَّة ترْجماتٍ متعدّدةً منها: النَّفعيَّةُ، عِلمُ المقاصدِ، علمُ التَّخاطبِ، الذَّرائعيَّةُ، السِّياقيَّةُ، عِلمُ الاسْتعمالِ، ولعلَّ مصْطَلَحَ التَّداوليَّةِ- بوصْفِهِ مُقابلاً للمصطلَحِ الأجنبيّ- هوَ الأثْبَتُ، وذَلكَ لأنَّ التَّداوليَّةَ تعني دراسةَ اللُّغةِ في حالِ التَّبدُّلِ والتَّغَيُّرِ إذْ يتغيَّرُ السِّياقُ نتيجةً لتغيُّرٍ في الغايةِ منَ الرِّسالةِ، كما يتبدَّلُ الخِطابُ وأطْرافُهُ ويتحوَّلُ الحِوارُ وأقْطابُهُ وذلكَ وفقاً لمقْتَضَياتِ التَّواصلِ الإنسانيّ.

[1] Pragmatics

مشكلات البحث: إنَّ أوَّلَ ما يواجه الباحثَ ويظْهرُ للقارئِ مِن صعوباتٍ في البحوثِ التَّداوليّةِ الَّتي تعيدُ قراءةَ نصوصِ التُّراثِ وتطالبُ بقراءاتٍ مستمرَّةٍ لها:

-اِتّساعُ الدَّرْسِ التَّداوليّ واتّساعُ مساحتِهِ نظراً لسَعْيِهِ إلى المُآلفةِ بيْنَ المناهجِ الأخرى وشدِّ خيوطها ليوائمَ بيْنَ الدّراسةِ الأدبيَّةِ واللغويَّةِ في نّصٍ واحدٍ.

-كَثْرَةُ الخطوطِ الضَّيّقةِ في الدّراسةِ التَّداوليَّةِ وتشعُّبُ المنهجِ معَ وجوبِ الانْتباهِ دائماً إلى ضرورةِ الإبْقاءِ على تماسُكِ هذهِ الخطوط ورَبْطِها بنقطةِ البدايةِ للمحافظةِ على هُويَّةِ المنْهجِ وتفادي خروجِ الدّراسةِ عنْهُ.

-عدمُ الاِسْتقرارِ وغيابُ الإجْماعِ على تَوْصِيْفٍ للمصطلحِ التَّداوليّ وذلكَ نابعٌ من جِدَّةِ هذا الفَرْعِ منَ الدَّرْسِ اللسانيّ، فلا يزالُ الأمْرُ مفتوحاً وقابلاً للتَّداوُلِ والتَّأويل.

أهمّيَّةُ البَحْث: تأتي أهمّيَّةُ البحثِ مِن كوْنِهِ يجْمَعُ شَمْلَ المناهجِ الأدبيَّةِ واللُّغَويَّةِ معاً في منْهَجٍ واحدٍ يدرسُ النُّصوصَ الأدبيَّةَ في سياقاتِها اللُّغويَّةِ الدَّاخِليَّةِ ومقاماتِها الاجتماعيَّةِ الخارجيَّةِ، وكذلكَ لِجِدَّةِ تَعامُلِهِ مع اللغةِ الأدبيَّةِ وجِدَّةِ نظرَتِهِ إلى نصوصِ التُّراثِ فهيَ ليستْ نصوصاً ثابتةً تدلُّ وتُؤَرّخُ لعصْرِها الّذي أُنْتِجتْ فيهِ وحسبْ، بل هي خطاباتٌ تواصليَّةٌ تتضمَّنُ أهْدافاً ومقاصدَ.

هَدَفُ البَحْث: يهْدُفُ البَحْثُ إلى دراسةِ نصوصٍ من شعرِ الحِكْمَةِ في العَصْرِ الجاهليّ ضِمْنَ إطارِ إستراتيجيَّةٍ مِن إستراتيجيّاتِ الخطابِ وهي الإستراتيجيَّةُ التَّلْميحيَّةُ للوصولِ إلى مقاصدِ الشُّعراءِ الجاهليّيْنَ منَ الحكمةِ وأهدافِهِم منْ توجيهِها في موقفٍ تواصُليّ ما للوقوفِ على مضامينِ الحكمةِ الشعريَّةِ في ذلكَ العصرِ وبذلكَ نصلُ إلى قراءةٍ جديدةٍ لشعرِ الحكمةِ الجاهليَّة.

الدِّراساتُ السَّابقةُ: رَغمَ جِدَّة البَحْثِ اللسانيّ والتَّداوليّ منه على وجهِ الخصوص، إلّا أنَّ الباحِثَيْنَ ما تخلَّفوا عنْ دراسةِ الخطابِ وفقَ هذا المنْهجِ لكنَّ جُلَّ دراساتِهِم كانتْ مقتَصِرةً على الخطاباتِ المُتَداوَلَةِ في حياةِ العامَّةِ اليوميَّةِ، من هذهِ البحوثِ دراسةُ عبدِ الهادي بن ظافر الشّهري الَّذي فصَّلَ القولَ في إستراتيجيَّاتِ التخاطبِ في كتابِهِ

١-إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،٢٠٠٤.

ومنهم مَنْ تناولَ الخطاباتِ الأدبيَّةَ بالدّراسةِ التَّداوليَّةِ:

٢-حجاجيَّةُ الحكمة في الشّعر الجزائريّ الحديث، خديجة بوخشة، إشراف د. بن عيسى عبد الحليم، أطروحة مقدَّمة لنَيْلِ شهادةِ الدكتوراة في اللسانيات التَّداوليَّة، الجزائر، جامعة وهران، ٢٠١٣/٢٠١٤م.

٣-تداوليَّة النَّص الشّعريّ جمهرة أشعار العرب نموذجاً، شيتر رحيمة، إشراف د. عبد القادر دامخي، أطروحة مقدَّمة لنَيْلِ شهادةِ الدكتوراة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.

فروضُ البحث: إذا عرفْنا أنَّ التَّداوليَّةَ هيَ دراسةُ اللُّغةِ مُسْتَعْمَلَةً، وأنَّها تتطرَّقُ لها بوَصْفِها ظاهرةً تواصليَّةً وخَطابيَّةً مستمرَّةً فإننا -اعتماداً على ضرورةِ الحكمةِ بوصْفِها أدباً إنسانيّاً وحاجةً اِجْتماعيّةً- نفترضُ أنَّ نصوصَ الحكمةِ نصوصٌ شعريَّةٌ أدبيَّةٌ تُوجَّهُ ضِمْنَ إطارِ إستراتيجيَّاتٍ خطابيَّةٍ تتضمَّنُ مقاصدَ وأهدافاً تواصليَّةً وبالتَّالي فهيَ نصوصٌ تستجيبُ إلى الدَّرْسِ اللسانيّ والتَّداوليّ منهُ على وجْهِ التَّحديدِ وتحقّقُ شروطَهُ وتمتلكُ مقوّماتٍ وأدواتٍ تجعلُها قابلةً أنْ تكونَ من أوائلِ الموضوعاتِ الأدبيَّةِ وأكثرِها اِسْتِجَابةً للسانيّاتِ التَّداوليَّةِ الحديثةِ.

منهجُ البحْث: يعتمدُ البحْثُ المنهجَ الوصْفِيَّ القائمَ على الاِسْتقراءِ والتَّحليلِ، استقراءِ النُّصوصِ، وتحليلِها، متَّبعاً أدواتِ الدَّرسِ التَّداوليّ الَّذي يتناولُ النَّصَّ الأدبيَّ بوَصْفِهِ خطاباً إنسانيَّاً يتضمَّنُ رسالةً موجَّهةً فيدرسُ كُلَّ ما هو مؤثِّرٌ في نصِّ الخطابِ أي سياقَهُ الدّاخليّ "اللغويّ" فيتطرَّقُ لمستوياتِ اللّغةِ المكوِّنةِ لنَصِّ الخطابِ اِبْتداءً منَ المستوى المعجميّ مروراً بالمستوياتِ: الصّوتيّ فالصَّرفيّ فالتَّرْكيبيّ فالدّلاليّ وصولاً إلى المستوى الجديدِ في هذا المنهجِ وهو المستوى التَّواصُليّ، وتكونُ الدِّراسةُ اللّغويَّةُ منصَبَّةً على معطياتِ هذهِ المستوياتِ وما يطرأُ من تغييراتٍ تؤثِّرُ في معنى الخطابِ ونتيجةِ التَّواصُل، علاوةً على السِّياقِ الخارجيّ "التَّواصليّ" إذْ يتناولُ الدَّرْسُ التَّداوليُّ كُلَّ ما يحيطُ بعمليَّةِ التَّخاطُبِ وظروفِها السِّياقيَّةِ والعناصِرِ المقاميَّةِ فيستفسرُ عنْ:

- حالةِ المُرْسِلِ والمُخاطَبِ ومَنْ يشْهَدُ الخطاب.
- الظُّروفِ الزَّمانيّةِ والمكانيَّةِ المُحيطةِ بالخطاب.
- مناسبةِ الخطابِ والأسبابِ المُؤدِّيَةِ للقَوْلِ والتَّلَفُّظِ بهِ.

وفي ضَوْءِ المستوياتِ اللّغويَّةِ للخطابِ مِنْ جهة وظروفِهِ التَّواصُليَّةِ المحيطةِ مِن جهةٍ مقابلة نصلُ إلى دراسةٍ تداوليَّةٍ مُرضِيةٍ ومقاربةٍ مقْنعةٍ تجمعُ الموضوعَ الأدبيَّ والدَّرْسَ اللغويّ، إلّا أنّنا لا نزْعُمُ أنّنا حقَّقْنا المنهجَ الكاملَ أوِ المتكاملَ فهذا الوصفُ غيرُ ممكنٍ وغيرُ مقبولٍ بلْ إنَّ البحْثَ استعانَ من المناهجِ بِما هوَ متاحٌ في دراسةِ كلِّ نّصٍّ على حِدة فقدْ يُسْتَعَانُ بمنهجٍ واحدٍ فقطْ أو بمنهجَيْنِ أو غير ذلكَ في سبيلِ الاِهْتِداءِ إلى قراءةٍ تداوليَّةٍ للنَّصّ.

تمهيد" المعنى الحرفي والمعنى السياقيّ"

اهتمَّتِ التَّدَاوُلِيَّةُ المَعْرِفِيَّةُ بالإمْكَانَاتِ الَّتِي يمْتَلِكُهَا المُتَخَاطِبُوْنَ، والَّتِي بدوْرِهَا تمكِّنُ المُرْسِلَ مِنْ إنْجَازِ الخِطَابِ وفْقاً لمُقْتَضَيَاتِ التَّأْوِيْلِ عندَ المُخَاطَبِ، كما تَطَرَّقتْ للآلِيَّاتِ والطُّرُقِ التي يَقُوْمُ بِهَا الذِّهْنُ في سَبِيْلِ دِرَاسَةِ رُمُوْزِ الرِّسَالَةِ وإِشَارِيَّاتِهَا والوُصُوْلِ إِلَى المَعَانِي الخَفِيَّةِ لِلْخِطَابِ. وهَذِهِ الآلِيَّاتُ هيَ تِلْكَ الآلِيَّاتُ المَحْكُوْمَةُ بالمُقَدِّمَاتِ والنَّتَائِجِ القَائِمَةِ على عَمليَّاتِ الاسْتِنْتَاجِ، والاسْتِبْدَالِ، والاسْتِنْبَاطِ. ويُخطئُ المؤوِّلُ إذا كانَ يعتقدُ أَنَّهُ يَجُوْزُ أَنْ يَتَجَاوَزَ المَعْنَى الحَرْفِيَّ ويُلْغِيْهِ، علَى العَكْسِ تماماً إنّه مادّةُ الاسْتِنْبَاطِ والخُطْوَةُ الأولى فيهِ إذ إنَّه هوَ الَّذِي ننْطَلِقُ منْهُ في سَبِيْلِ وُصُولِنا إلى المَقْصَدِيَّةِ.((فلا ينبغي أن نفصلَ بين الصريح والضمني ولا أن نقيم بينهما علاقة ثنائية كما جرت عادة الدلاليين بل نشايعُ أصحاب التحليل التداولي المعرفي الذين يرون في الضمني والصريح علاقةً ديناميّةً متواصلة بينهما تنطلق من الآثار الغامضة للقول إلى الآثار الدقيقة فيه))[1]وبالتَّالي فإنَّ عمليَّةَ الاسْتِدْلالِ هيَ الرَّبْطُ في القَوْلِ بينَ المَعْنَى الحرفيّ للمَلْفُوْظَاتِ من جِهةٍ والبياناتِ والمعلوماتِ المعرفيَّةِ من جهةٍ أُخرى، هذه الأخيرةُ يَجِبُ أنْ تكونَ مُتشابِهَةً إلى حدٍّ ما بينَ المُرْسِلِ والمُسْتقبِلِ ومِنْ ثمّ محاولة معرفةِ العلاقةِ بينَ المَقولِ مُرتبطاً بالمَعْرِفَةِ مِن جهةٍ، وبينَ المقامِ مِن جهةٍ ثانيةٍ، لنقفَ على مُتَضَمَّنَاتِ القَوْلِ ومُضْمَرَاتِ الخِطابِ وهذا يتطلَّبُ كفاءةً تَوَاصُلِيَّةً عندَ كلٍّ مِن أطرافِ الخطابِ لأنَّ الأمرَ يحتاجُ إلى فكِّ "شيفرات" وتتطلَّبُ هذهِ العمليَّةُ سرعةً من المؤوِّل ولا سيما في الخطاباتِ الشَّفهيَّةِ لكنَّ "الرمز" "code" لا يعني شيئاً ويكونُ غيرَ فعّالٍ إذا لمْ يلقَ خبرةً معرفيَّةً أو قدْ يعني أشياءَ لكنْ ليسَت هذهِ الأشياءُ هي هدفُ الخطابِ وليسَت هي المطلوبُ إيصالُها إنَّما هي رموزٌ متمِّمةٌ وفي الوَقْتِ ذاتِه فإنَّ الرَّمْزَ هوَ البابُ الَّذي ندخلُ منهُ إلى مَا هوَ خَفِيٌّ وراءَ الرُّمُوز.

[1] عشير، د. عبد السّلام، *عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج*، افريقيا الشرق، (د.ت)، ص٤٤.

أولاً: المُقاربة الإستدلاليَّة بيْنَ التَّصريح والتَّلميح "الصَّريح والضِّمنيّ"

التَّداوليَّاتُ اللسانيَّةُ هنا لا تكفي للإحاطةِ بالقَوْلِ، وما يمرُّ به مِن مراحلَ، في سبيلِ وصولهِ إلى المُخاطَبِ مفهوماً على الوجهِ الّذي يريدُهُ المتكلِّم، بل يجب أن ترتبط بتداولياتٍ أخرى تغذّيها: سيميائياً، سوسيولوجياً، سيكولوجياً، لذلك ((يفترض التداوليون أنَّ ما يتم إيصاله بواسطة الأقوال هو إرادة القول "vouloire dire" أمَّا المضمونُ فيتمُّ حلُّ عقدِهِ ترميزياً وأمّا التَّضمينياتُ فتُستنتَجُ، وهكذا فإنَّ التَّواصلَ حسبَ المقاربةِ الاسْتِدْلاليَّةِ يحدثُ بواسِطَةِ مؤشّراتٍ indices يقدّمها القائلُ حتَّى يستطيعَ المستمِعُ الاستدلالَ بهَا على مقاصدِ الأوَّلِ إنْطِلاقاً من مجموعِ المقدّماتِ الَّتي يؤخِّرُها القولُ بدلالةِ كلماتِهِ وطريقَةِ تركِيبِها وأبعادِها وإيماءَاتِها وما تحرّكُه وما تُثيرُه من رغباتٍ ونوازعَ وتطلُّعاتٍ وتوقُّعاتٍ متفاعلةٍ مع الإمكاناتِ الَّتي تكوّنها وتَشْحَذُها العناصرُ الحاضرةُ أو المبنيَّةُ في المحيطِ المعرفيّ للمؤوّل))[١] إذاً فإنَّ القَوْلَ يمرُّ بمراحلَ عندَ المؤوّلِ مستخدماً آليتَهُ الاسْتدلاليةَ منطلقاً ممَّا يرفدُهُ بهِ السِّياقُ وقواعدُ الحوارِ ومبادئُ المحادثةِ وأهمُّها مبدأُ التَّعاونِ الَّذي وضعَه "غرايس" وبكلِّ هذا فقد يقفُ في تأويلِه عندَ حدّ ما يقتضيْهِ القولُ دونَ الوصولِ إلى ما يريدُهُ القائلُ، فلا بُدَّ من تَشْغِيْلِ الجانبِ المعرفيّ أي الأدواتِ الذِّهنيَّة والآليَّاتِ والتَّعويل على الأرضيَّاتِ المُشتركةِ بينَ الباثّ والمتقبّلِ فتلكَ معانٍ لسانيَّةٌ أمَّا هذه فيمكنُ وصفُها بأنَّها تضميناتٌ معرفيّةٌ، ويمكنُ وَضْعُ ترسيمةٍ توضّحُ الأبعادَ اللِّسانيَّةَ وغيرَ اللِّسانيَّةِ النَّاتجةَ عنِ القَوْل.

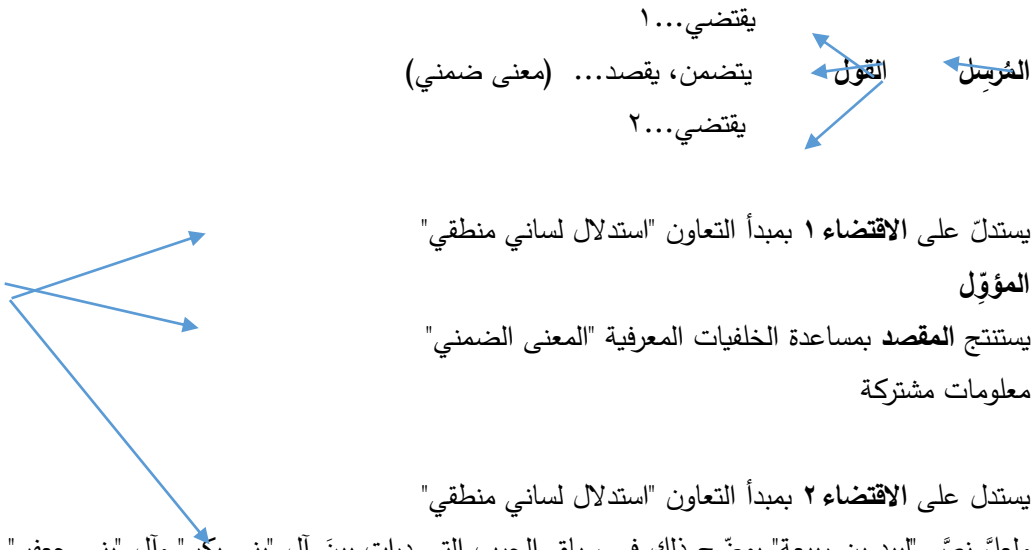

ولعلَّ نصَّ "لبيد بن ربيعة" يوضّح ذلك في سياقِ الحربِ التي درات بينَ آل "بني بكر" وآل "بني جعفر" وكلاهُما من "عامر"، قال داعياً "آلَ بكر" إلى الصُّلح:[٢][ ][ ][ ]

---

[١] المصدر السابق، ص٤٦.

[٢] لبيد بن ربيعة العامري، *شرح ديوانه*، حققه وقدَّم له د. إحسان عباس، د. ط، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، الكويت، (١٩٦٢)، ص ٢٨٥-٢٨٦.

أبُونَا أبُوكم والأواصرُ بينَنا قريبٌ، ولم نأمُر منيعاً ليأنَما

فإنْ تقبلوا المعروفَ نَصْبِرْ لحقِّكم ولن يعدِمَ المعروفُ خُفّاً ومَنْسِما

وإلّا فما بالموتِ ضرٌّ لأهلِه ولم يُبقِ هذا الدهرُ في العيشِ مندَما

في النصّ ثلاثُ إشاراتٍ منَ الحكمة أرسلَها الشاعرُ إلى "بني بكر"، حملتِ الخطاباتُ معانيها الحرفيَّةَ كما أنَّها تضمَّنتْ مقاصدَ مُرسِلِها، انظر الشكل:

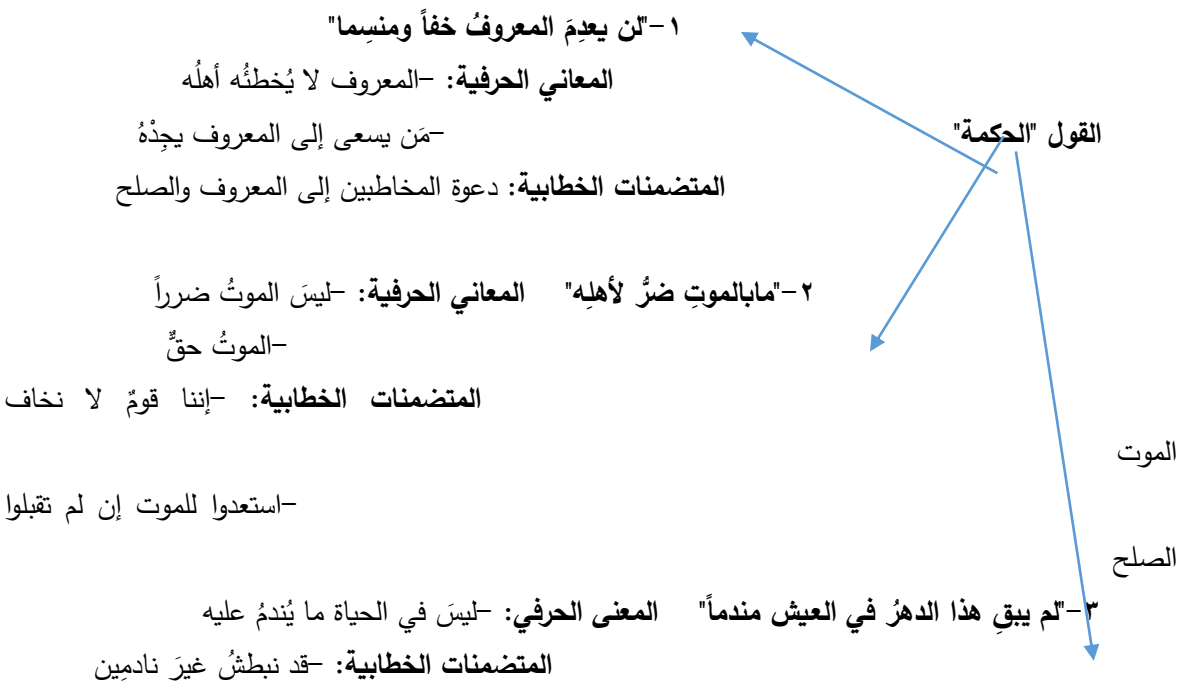

المقصد السياقي: التهديد، وبهذه القراءة نصلُ إلى الهدفِ التَواصليّ من هذا الخطاب وهو الحضّ على الصّلح.

ثانياً: التَّلميح والمعنى السِّياقيّ:

١-مفهوم التلميح: إنَّ اللُّغةَ بمستوياتِها المعجميَّةِ والتَّركيبيَّةِ والدِّلاليَّةِ تعبّر عن معنى الخطابِ ظاهرياً، لكنَّ المرسلَ قد يستعينُ بالتَّلميحِ للتَّعبيرِ عن قصدِهِ مراعياً ظروفَ الخطابِ والمقامَ ومعوّلاً على قدرةِ المخاطبِ التَّأويليَّةِ وكفاءَتِهِ التَّداوليَّةِ، ويؤدّي المقامُ دوراً في عمليَّةِ فَهْمِ القَوْلِ، وكثيراً من الأحيانِ يكونُ المعنى المُرادُ من القولِ مناقضاً تماماً لما تؤدّيه الكلماتُ فيعوَّلُ عندئذٍ على المقامِ في فَهْمِ الدِّلالةِ العميقةِ للخطابِ، من ذلك تُعرَّفُ "التلميحية" بأنَّها ((هي الإستراتيجية التي يعبّر بها المرسل عن القصد بما يُغاير معنى الخطاب الحرفي ليُنجزَ بها أكثر مما يقوله، إذ

[١] منيع: هو رجل من بني جعفر أقدم على قتل رجلٍ من بني بكر وهو "مرة بن طريف".

[٢] الخف للبعير، المنسم: طرف الخف والبعير.

يتجاوز قصده مجرّد المعنى الحرفي لخطابه فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق))[١] بالتالي فإنَّ العناصرَ السِّياقيَّةَ الدَّاخليَّةَ تؤدّي الدَّورَ الأوَّلَ في الإستراتيجيَّةِ التَّلميحيَّةِ إذ إنَّ ((الأدوات اللغوية هي من العلامات الدّالّة على قصد المرسل))[٢] ويرى "أحمد المتوكل" أنَّ ((القوّة الإنجازية التي يمكن أن تواكب العبارات اللغوية قوّتان:-قوة إنجازية حرفية، -قوة إنجازية مستلزمة، الأولى واضحة في صيغة العبارات مباشرةً بينما الثانية يُتوَصَّلُ إليها عن طريق مقاماتٍ معينة، ومن خصائصهما أنَّ القوة الحرفية ثابتة ملازمة للعبارة اللغوية ولو تبدّلت الظروف المقامية، بينما القوة المستلزمة تتغير وتتبدّل تبعاً للعملية الذهنية ومدى قربها وبعدها عن الصواب (القصد) كما قد تُلغى تماماً.))[٣]انظر الشكل :

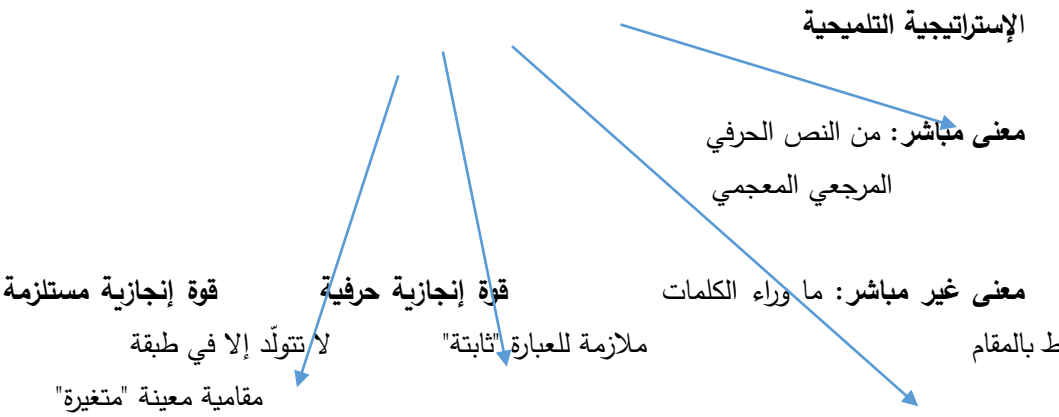

٢-**الدراسات العربية والغربية حولَ "التلميح"**: تتجلّى هذه الإستراتيجية في **الدراسات الغربية**: -نظرية "غرايس" مبدأ التعاون، -ظاهرة التأدب عندَ "براون ولفنسون"، قاعدة العلاقة عندَ "سبيبر وولسون"، -الأفعال اللغوية غير المباشرة عندَ "سورل" وغير ذلك[٤]، وهذه الأخيرة يوضحها الخطاب الآتي: أ-ما كانت نتيجة المباراة؟

ب-إننا في المسجد!

لقد اخترق "ب" من أحكام المحادثة قاعدة العلاقة إذ إنَّ إجابتَه كانت بعيدةً تماماً عن الموضوعِ الذي بدأ به "أ" وذلك تأدُّباً، وهذا التأدُّبُ من منطلقِ مراعاةِ ظروفِ المقامِ ولاسيما المكان الذي دارَ فيه الخطابُ "المسجد" الذي لا يتناسبُ مع خطاب المرسِلِ "أ"، وفي إجابة "ب" فعلٌ إنجازيٌ غيرُ مباشرٍ لمّح إليه القولُ، مفادُه:

-اصمتْ..

- أرجِئِ الحديثَ فهذا غيرُ مناسبٍ هنا الآن.

وفي هذا القولِ غيرِ المباشرِ تأدّبٌ اتِّجاهَ المرسِلِ "أ" فإنَّ التلميحَ مسوّغٌ عندَ المرسلِ ليتفادى التصريحَ بالأمرِ والتَّوجيه. وإنَّ أكثرَ المسوّغاتِ التي تدفعُ المرسلَ إلى استخدامِ التَّلميحِ معرفتُه التَّداوليَّةُ بعناصرِ السِّياقِ

---

[١] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، *إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*، ط١، (٢٠٠٤)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي- ليبيا، ص٣٧٠.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٦٨.

[٣] المتوكل، أحمد، *آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي*، سلسلة بحوث ودراسات رقم٥، جامعة محمد الخامس- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (١٩٩٣م)، ص٢٠ وما يليها.

[٤] انظر: *إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*، ص٣٧٦.

وظروفِ المقامِ فيوجّه خطابَه ويضمّنه قصدَهُ ذاكَ المعنى الذي يصبحُ هو القوّةُ الأُولى الإنجازيَّة منحّياً القوةَ الحرفيَّةَ التي لا تعدو كونَها سبيلاً أو أداةً للتَّأويل.

أمّا في **الدِّراسة العربيَّة:** ففي البلاغة العربيَّةِ دروسٌ متعدِّدةٌ تُستخدَمُ في التَّلميحِ، مثل: الكناية – البيان – والمجاز والتي يستخدمُها المرسِلُ بوصفِها آلياتٍ تساعدُهُ على تمريرِ قصدِه بشكلٍ غيرِ مباشرٍ، وقد حصرَ "الشهري" عملَ المرسلِ نحوَ إيجادِ علاقةٍ بينَ الملفوظِ والقصدِ بحالتَين:[١]

–الأولى: أنْ يدع دلالتَه على القصدِ بتوليدِها لغويّاً يستعملُ بعضَ الآليّاتِ البلاغيَّةِ كالمجازِ بأنواعِهِ متَّكئاً على السِّماتِ الدَّلاليَّةِ في المعجمِ الذِّهنيّ المشتركِ بينَه وبينَ المُرسَلِ إليه لإيجادِ العلاقةِ بينَ الملفوظِ والقَصْد.

–الثانية: أن يسْتعملَ القوالبَ اللُّغويَّةَ المأثورةَ، مثلَ التَّعبيراتِ الاصطلاحيَّةِ المحفوظةِ عندَه بشكلِها اللُّغويّ ومعناها القارّ في ذهنِه وفي ذهنِ المخاطَبِ. وهناكَ طرقٌ لورودِ المعاني في السِّياقِ أوردَهَا "الغزاليُّ" من شأنِها أنْ تُعينَ المرسلِ في إنتاجِ نصِّهِ، وهذهِ الطُّرقُ ((أربعةٌ: إذِ الأقوال إمّا أن تدلَّ على الشيء بصيغتِها ومنظومها، أو بفحواها ومفهومها، أو باقتضائِها وضرورتِها أو بمقولِها ومعناها المستنبط منها))[٢] فالأقوالُ التي تدلُّ بصيغتِها ومنظومِها تمثّلُ الإستراتيجيَّةَ التَّوجيهيَّةَ، أمّا الأقسامُ الثَّلاثةُ الأُخرى فتمثِّلُ الإستراتيجيَّةَ التَّلميحيَّةَ وتكونُ فيها العلاماتُ اللّغويَّةُ والآليّاتُ الذِّهنيَّةُ المنطقيَّةُ سبيلَ المؤوِّلِ إلى فَهْمِ الخطابِ كما أرادَهُ المُرسِل.

ثالثاً: أدوات الإستراتيجية التلميحية:[٣]

١–الأدوات اللغوية في التَّلميح: يستخدمُها المرسِلُ ويضمّنُها قصدَه بالتَّلميحِ إليه، فهذهِ الأدواتُ اللّغويَّةُ تلمّحُ بشكلٍ أو بآخرَ إلى قصدِ المرسِل في الخطابِ بالتَّالي يُستَلزَم دلالاتٌ وراءَها ومنْها:

١–١– **ألفاظ الكنايات والروابط:** من مثل **"كم"** وأخواتِها الدَّالَّةِ على الكَثْرَةِ "كأيِّن" أو "كائن" ففي هذه الأدواتِ يضمّنُ المرسِلُ قصدَهُ في التَّكثيرِ من العنصرِ أوِ الصِّفةِ التي تشيرُ إليه هذهِ الأدوات. وفي سياقِ الحكمةِ تفيدُ هذهِ الأدواتُ في تلميحِ الشَّاعرِ "المرسل" إلى صِدْقِ حكمتِه وشموليَّتِها وصلاحِها لكلِّ مجتمعٍ وزمانٍ وبيئةٍ ومكان. ففي حكمةِ "الأفوه الأودي" في الصَّداقةِ والعداوةِ نراهُ يوظِّفُ الأداةَ اللُّغويَّةَ "كم" ليُضفي على مبدئِهِ هذا طابعاً عامّاً ينطبقُ على كلِّ علاقةٍ في كلِّ مجتمعٍ

١–٢–

١–٣– يقول:[٤][٥][٦]

الخِلُّ راضٍ شاكرٌ في عَهْدِهِ وعدوّه المقهورُ منه آذِ

إنْ عابَهُ الحُسّادُ لا تَعبأْ بهم في هذه الدنيا فكَمْ من هاذِ

---

[١] انظر: *إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*، ص٣٨١.

[٢] أبو حامد الغزالي، محمد، *المستصفى من علم الأصول*، تحقيق وتعليق د. محمد سليمان الأشقر، ط١، (١٤١٧هجري)، مؤسسة الرسالة، ج١، ص٣٩.

[٣] للتزوّد انظر: *إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية* تداولية، ص٣٨٥.

[٤] الأفوه الأودي، *ديوانه*، تحقيق: محمد ألتونجي، ط١، (١٩٩٨)، دار صادر، بيروت– لبنان، ص٦٩.

[٥] آذٍ: متأذّ.

[٦] الألواذ: مفردها "لواذ" وهو حصن الجبل وجانبه، أي أن المخلص في صداقته يكون ذا نفسٍ راضية وحياة سعيدة ولو كانت بين الجبال.

اللهُ خوَّلَهُ حياةً مالها كدَرٌ، وعيشاً طابَ في الألواذِ

يقيم "الأفوه" مفارقةً بينَ الصَّديقِ المخلصِ الهانِئِ بإخلاصِهِ والعدوِّ الّذي يتفجّرُ غيظاً من صِدقِ ذاكَ وإخلاصِه، كما أنَّهُ يشيرُ إلى قضيَّةِ الحسدِ والحاسدِينَ الذينَ لهم دورٌ في كلِّ علاقةٍ في المجتمعِ مهما كانَ وصفُها وذلك أدَّتهُ "كم" الخبريَّةُ التَّكثيريَّةُ إضافةً إلى "هاذِ" الّتي أشارت إلى كثرةِ هذا النَّوعِ من الأشخاصِ، وبالتَّالي أشارتِ الأداتانِ إلى عموميَّةِ هذه العلاقاتِ في المجتمعاتِ ودلّتْ على عمقِ نظرٍ عندَ المرسِل.

–**الأداة "كائن"**: وهي وجهٌ آخرُ ل "كم" تقومُ مُقامَها وتؤدّي دلالتَها، ففي قول "زهير بن أبي سلمى":[١]

وكائِنْ ترى مِنْ صامتٍ لكَ مُعْجِبٍ زيادَتُهُ أو نَقْصُه في التَّكلّمِ

أدّت الأداة "كائن" دوراً في إطلاقِ هذهِ الحكمةِ في معرفةِ النَّاسِ وتقييمِهِم حتَّى صارَتْ منهجاً، فنحنُ لا نحكُمُ على الإنسانِ صامتاً بل لا بُدَّ أن نسمعَ منطقَهُ فربَّما يغيّر ذلكَ في الأمرِ والحُكْمِ إلى درجةِ إعطاءِ حُكْمٍ مُناقضٍ تماماً. أمّا في سياقِ الوعيدِ الذي يوجّهُهُ فيهِ الشَّاعرُ "عبيد بن الأبرص" حكمتَه في "الدَّهر والموت" إلى متلقّيه الأوَّلِ "حجر بن الحارث" وابنِه "امرئ القيس" ومن ثمَّ إلى المتلقّي المُسْتحضَرِ "الإنسان" فإنَّ الأداةَ "كأن" إضافةً إلى "قد" تتضمَّنانِ الحكمةَ المُرادةَ في توالي مصائبِ الدَّهرِ وتحتويانِها بقولِه:[٢]

فقُلْ للَّذي يبغيْ خلافَ الَّذي مضَى تهيَّأ لأُخرَى مثلِها فكَأَنْ قَدِ

ولا سيّما في أنَّ الأداة "قد" مستقلّةٌ منقطعةٌ عنْ الدّخولِ إلى فعلِ ما، والتَّقدير "قد تحصل" قاصداً غارةً جديدةً يشنُّها الدهرُ على الإنسانِ أو ربَّما يقصدُ بقولهِ "أخرى" وقعةً جديدةً من قومِه وقوم "امرئ القيس" وفي كلا الحالَين يضمّن "المرسلُ" الأداةَ "كأن قدِ" تلميحاً بالوعيد.

١–٢–التَّعبير الاصطلاحيّ: يتكوّنُ التَّعبيرُ الاصطلاحيُّ من ضمِّ وحداتٍ لغويةٍ بعضِها إلى بعض إلّا أنَّ دلالتَها لا تكونُ ناتجةً عن هذا التَّركيبِ، بل إنَّ معناها مُتعارَفٌ عليه عندَ النَّاطقينَ بلغةٍ واحدةٍ أو لهجةٍ ما ضِمْنَ هذهِ اللُّغةِ. إذاً فالتعبير الاصطلاحي له معنيان: ـ معنىً مُتَعَارَفٌ عليهِ في المخزونِ الثَّقافيّ وهذا معنىً تداوليّ.

ـ معنىً مُتَأَتٍّ منْ معانِي الكلماتِ المؤلِّفةِ للتَّعبيرِ وهذا معنىً حرفيٌّ تركيبيّ. يقول "أحمد مختار عمر" ((أمّا الوحدات الدلالية الأكثر شمولية وهي المتركبة من وحدات على مستوى الكلمة فنعني بها تلك العبارات التي لا يُفهم معناها الكلّي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضمّ هذه المعاني بعضها إلى بعض، وفي هذه الحالة يوصف المعنى بأنَّه تعبيرٌ اصطلاحيّ (idiomatic)))[٣] ومنَ التَّعابيرِ الاصطلاحيَّةِ التي عرفنَاها في أدبِنا العربيّ: –"**رفعَ عقيرتَه**" بمعناها الحرفيّ رفعَ ساقَه المبتورةَ وأخذَ يصيحُ ويتألَّم ثمَّ أصبحتْ تعبيراً اصطلاحيّاً لكلّ مَنْ يتألّمُ بشدّةٍ ويصرخُ بصوتٍ عالٍ أو لِمَنْ يقدّمُ حجَّتَهُ بصراخٍ فيُقال رفعَ عقيرتَهُ. ومنها:–"**ضربَ كفّاً بكفٍّ**": بمعناها الحرفيّ والتَّركيبيّ المتمثِّلِ من حركةِ الكفَّينِ، ومعناها التَّداوليّ الذي يشيرُ إلى الحَيْرةِ ومنها:–" **يقدّم رجلاً ويؤخّر أخرى**": بمعنى التَّردُّدِ وغير ذلك، أمَّا في سياقِ الحكمة فإنَّنا– مع الإشارةِ إلى

---

[١] زهير بن أبي سلمى، *ديوانه*، شرحه وقدم له: أ. علي حسن فاعور، ط١، (١٤٠٨هجري/١٩٨٨ميلادي)، دار الكتب العلمية، لبنان–بيروت، ص١١١.

[٢] عبيد بن الأبرص، *ديوانه*، تحقيق وشرح د. حسين نصار، ط١، (١٣٧٧هجري/ ١٩٥٧ ميلادي)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ص٧٥.

[٣] عمر، أحمد مختار، *علم الدلالة*، عالم الكتب (١٩٩٣)، القاهرة، ص٣٣.

نُدْرةِ الشَّواهدِ- نجدُ بعضَ الشُّعراءِ استخدمَ التَّعبيرَ الاصطلاحيّ. يقول "لبيد بن ربيعة" في رثاءِ "النعمان بن المنذر":[١]

إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنَّهُ قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ عامِلُ

فقولا له إنْ كانَ يُقْسِمَ أمرَهُ ألمّا يعِظْكَ الدَّهرُ، أُمُّكَ هَابِلُ

إنَّ سياقَ النَّصِّ هو "الحكمة في أمورِ الدَّهرِ" يوجّهُها المرسلُ إلى الإنسانِ عموماً مكنّياً عنه بلفظةِ "المرء"، وتتمركزُ الحكمةُ في التَّعبيرِ الاصطلاحيّ "أمُّكَ هابِل" نبيّنُ ذلك بمعرفةِ المعنى الحرفيّ لهذا التَّعبيرِ أولاً فقد جاءَ في معاجمِ العربيَّةِ تحتَ مادة (هَبُلَ) ما يلي: ((هَبِلَ فلان هبلاً: فَقَدَ عقلَه وتمييزَه، وهَبِلت الأم: فقدَت ولدَها، هبلاً: ثَكِلَتهُ فهي هابل، ويُقال: هَبِلَتهُ أمُّهُ في معنى المدحِ والإعجابِ، فيُرادُ به ما أعلمَه، أو ما أصوبَ رأيَهُ))[٢]

لقدْ تركَّزَتِ الحكمةُ في هذا التَّعبيرِ الاصطلاحيّ لأنَّ حكمةَ المرسلِ في البيتَينِ تنصبُّ في تنبيهِ الإنسانِ إلى متاعبِ الدَّهرِ الَّتي لا تنقَضي فأرادَ المرسلُ ذلكَ باستخدامِهِ هذه الأدوات:

-الشرط والفعل الإنجازي: إذا المرء أسرى .. فقولا

-السؤال الإنكاري المرتبط بالزمان: ألمّا ..؟

-التعبير الاصطلاحي: "أمُك هابِل" ويُقرأ على وجهَين، الذمّ واللوم: وذلك لأنَّ الإنسانَ لم ينتبهْ لهذهِ الحقيقةِ رغمَ أنه قد صارعَ الدَّهرَ وعايشهُ.

أمّا الوجهُ الثَّاني فنكونُ قد دخَلْنا إلى أداةٍ جديدةٍ في التَّلميحِ هي: التّهكُّم.

٢-الأدوات البلاغية في التلميح:

٢-١-التهكُّم: وهي آليَّةٌ بلاغيَّةٌ يوظّفُها المرسلُ في مقامٍ معيّنٍ وتعتمدُ على فَهْمِ المرسلِ للمقامِ وهل يصلحُ فيهِ إسْتخدامُ هذهِ الآليَّةِ؟، و "التهكّم" هو ما نعرفُهُ "بالذَّمِّ عن طريقِ المَدح" وهو((في مصطلح علماء البيان عبارة عن إخراج الكلام على ضدِّ مقتضى الحال استهزاءً بالمخاطَب))[٣] وإذا عُدْنا إلى سياقِ نصِّ "لبيد" فيمكنُ أنْ نقرأَ تعبيرَه "أمّك هابِلُ" على أنَّه تهكّمٌ معتمِدِينَ على ما جاءَ في المعجمِ مِنْ أنّ هذا التَّعبيرَ في إحدى صيغِه "هبلته أمه" يُستخدَمُ في سياقِ المدحِ دلالةً إلى صَوَابِ رأيِ المخاطَبِ، بينما يريدُ المرسلُ في نصّنا السَّابقِ التَّلميحَ بخلافِ ذلكَ فيكونُ التَّعبيرُ "أمُّك هابِلُ" تهكّماً بالمخاطَب الذي هوَ "المرء الذي يأمنُ الدَّهرَ ويظنُّ أنه يتوافقُ معهُ" لذلكَ فالحكمةُ في القراءَتَينِ /الوجهَيْن/ ارتبطَتْ بالتَّعبيرِ الاصطلاحيّ سواءٌ في ذلكَ إذا قرأناهُ في معناهُ الحرفيّ "اللوم والذّم" أم في معناهُ السِّياقيّ "التهكّم".

٢-٢-التَّشبيه: ويكونُ التَّلميحُ فيه بإسقاطِ عناصرِ المشبَّهِ به على المشبَّهِ ومقارنتِها والتَّأكّدِ من مناسبتِها ثمَّ اختيار الأنسبِ منها للسِّياقِ؛ بالتَّالي فإنَّ "التشبيه" يُستلزَمُ منه معنىً خفيٌّ يريدُه "المرسل" ويتمُّ الوصولُ إلى هذا المعنى المستلزمِ عن طريقِ الاستدلالِ والعمليَّاتِ الذِّهنيَّةِ والقواعدِ البلاغيَّةِ، يقولُ "لبيد بن ربيعة":[٤]

---

[١] شرح *ديوانه*، تحقيق: د. إحسان عباس، ص ص ٢٥٤-٢٥٥ ، وانظر: لبيد بن ربيعة، *ديوانه*، شرح الطوسي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور حنا نصر، ط١، (١٤١٤هجري/١٩٩٣ميلادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص١٤٤.

[٢] مدكور وآخرون، *المعجم الوسيط*، ط٣، (١٩٩٣)، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٦٠، ص١٠٠٩.

[٣] العلوي، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز، مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين، ط١، (١٤١٥هجري)، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٤٧٦.

[٤] وهذا النص نُسبَ إلى لبيد كما نُسبَ كذلك إلى نافع بن لقيط الأسدي وذُكرَ في ذيل الديوان، لبيد بن ربيعة، *ديوانه*، شرح الطوسي، حنا نصر، ص٢٧٩.

ولئن كبرتُ لقد عُمِرْتُ كأنني غُصْنٌ تفتِّشُهُ الرياحُ رطيبُ
وكذاك حقاً مَنْ يُعمَّر يُبْلِه كَرُّ الزمانِ عليه والتقليبُ
حتى يعودَ من البلاءِ كأنَّهُ في الكفِّ أفوقُ ناصلٌ معصوبُ
مَرِطُ القذاذِ فلَيْسَ فيه مصنعٌ لا الريشُ ينفعُهُ ولا التعقيبُ
ولقد بليتُ وكُلُّ صاحب جدّةٍ لِبلَىً يعودُ وذاكمُ التَّتبيبُ

يُشيرُ المرسِلُ في هذا النَّصِّ إلى "الكِبَر والهرم" ويُمرِّرُ حكمتَهُ في "الزمان وبلائه في الإنسان"، فيوظّف آلياتٍ بلاغيةً ويُضمِّنها خطابَهُ وما يُستلزَم عنها من مقاصدَ.

–في البيت الأول يستخدمُ آليَّةَ التَّشبيهِ، فيأخذُ عناصرَ المشبَّهِ به "الغصن" وعناصرُه: "التثنّي، الليونة، الانحناء" ليلقيها على المشبَّهِ "المرسل نفسه" في حالةِ الهرمِ "لقد عمرت كأنني" وهذا يستلزمُ معانيَ "الضَّعف والعَجْز".

–في البيت الثَّالث: يعقدُ الشَّاعرُ تشبيهاً ثانياً تعزيزاً للمعاني التي يريدُ أن يمرِّرَها في حكمتِه، المشبَّه "المرءِ المُعَمِّر" المشبه به "أفوقُ" وهو السَّهم المكسور وعناصرُه: –ناصلٌ –معصوبُ وتحتَ مادّة "عصب" تندرج معاني "لطيفُ العظم" "معصوب العينين" "مجروحٌ مضمَّد" ونحوَ ذلك، يقومُ المؤوِّلُ بإسقاطِ هذهِ العناصرِ بمعانِيها على المشبّهِ ليصلَ إلى ما قصدَه المرسلُ ولمّح إليه وهو مَصبُّ حكمتِه "**ضعف الإنسان أمام الزمن وعجزه دونه**"

ويوظِّفُ "عنترة" آلية التشبيه في سياق عتاب الزمن يقول:[١]

دموعٌ في الخدودِ لها مسيلُ وعينٌ نومُها، أبداً، قليلُ
طلبتُ من الزمانِ صفاءَ عيشٍ وحسبُكَ قَدْرَ ما يُعْطِي البخيلُ

في البيت الثاني تشبيهٌ بعيدٌ إلى حدٍّ ما؛ إذ ليسَ فيه أداةٌ تربطُ بين طرفيّ التَّشبيه لكنّ سياق النصِّ يهدينا إلى طرفَيه من خلالِ العناصرِ المشتركةِ بينَهما، والّتي ربطَها الشَّاعر في سبيلِ إخراجِ حكمتِه، إذ ألقى عناصرَ البخيلِ وهي "الإمساك – المنع" على الزَّمنِ من خلالِ إسقاطِها عليه لتكونَ حكمتُه المستلزمةُ عن ذلكَ التَّشبيهِ في سياقِ العتابِ "**بخلُ الزمانِ وشحّه على الإنسان**" بالسَّعادةِ وصفوِ العيشِ وهذه حكمةٌ نابعةٌ عن تجربةِ المرسلِ مع قومِه.

٢–٣–الكناية: تركيبٌ له معنيان:

–معنىً حرفيٌّ /معجميٌ/ مصرَّحٌ به غيرُ مُراد.

–معنىً مستلزمٌ /مُكنّى عنه/ مُلَمَّحٌ إليه وهو المعنى المُراد إذاً هي ترك المعنى المصرّح به إلى ما يلزمُه أو يلزم عنه، ذكرها السكاكي: ((هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذِكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى

[١] التبريزي، الخطيب، *شرح ديوان عنترة*، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، ط١، (١٤١٢هجري/١٩٩٢ميلادي)، دار الكتاب العربي بيروت، ص١١٧.

المتروك))[١] ونشير إلى أنَّها من الآليَّاتِ التي تُختَزَن في الموروثِ الثَّقافيّ شأنُها شأنَ التَّعبيرِ الاصطلاحيّ، فلا شكَّ أنّ كُلٌّ مِنّا يعرفُ المعنى المستلزَم "الكنائي" عن قولنا "كثير الرماد" وهو الكرم، وعن "نؤومُ الضحى": الدلال والرفاه. وتُعَدُّ تلميحاً لأنَّ المرسلَ يستخدمُها في مقاماتٍ معَيَّنةٍ يتركُ معها التَّصريحَ بقولٍ مباشرٍ غيرِها ففي القول "نؤوم الضحى" قد ينطوي الخطابُ بهذه الكنايةِ على مقصدٍ آخرَ للمرسلِ كأن يكونُ قاصداً نعتَ المخاطبةِ "بالكسل" إلّا أنَّه لجأ إلى الكنايةِ لكي يتحاشى هذا التَّصريحَ الذي قد لا يناسبُ المقامَ أو ظروفَ أحدِ طرفيّ الخطاب. وإذا عُدنا إلى نصّ "لبيد" المذكور في خانةِ "التشبيه" نتابعُ في بيتِه الرَّابعِ: في سياقِ وصْفِ الإنسانِ الهَرِمِ من خلالِ تشبيهِهِ بالسَّهْمِ كما يأتي:

مَرِطُ القذاذِ فليسَ فيهِ مصنعٌ لا الريشُ ينفعُهُ ولا التعقيبُ

فتركيب، "مَرِطُ القذاذ" يتألف من معنيَين كالآتي:

-**حرفي/تركيبي:** مَرِطُ: لا ريشَ / القذاذ: الريشة، أي كالسهم الذي لا ريشَ فيه

-**كنائي مستلزَم:** "الخسران في معركة الزمن" فالإنسان يخرجُ بعدَ معايشتِهِ للزَّمنِ كالسَّهمِ الَّذي لا ريشَ فيه وهذه كنايةٌ

عن "شدّة فعل الزمن بالإنسان" وهي حكمةُ "لبيد" الذي يقول في نصّ آخرَ وفي هذا السّياقِ ذاتِه:[٢]

أَلَيْسَ وَرَائِي، إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُوْمُ العَصَا تُحْنَى علَيْهَا الأَصَابِعُ

فقولُه "تراخَت منيّتي" يستلزمُ معنى "الهرم والكبر" أمّا الكنايةُ ففي قولِه: "تُحنى الأصابعُ على العصا"

المعنى الحرفي: ضَمُّ الأصابعِ على العصا والتَشبُّثُ بها وهذا غير مراد وإنما المُراد المعنى المستلزم عنه

المعنى الكنائي: التعكُّزعلى العصا وحكمته **"ليس بعد التقدُّم في السن إلّا الدبيب على العصا"** وفيه كذلك تلميحٌ إلى أنَّ الموتَ سيأتي لا محالةَ مهما طالَ الزَّمنُ بالإنسانِ ، أمّا في حكمة "عنترة" في سياق قَصْرِ الفخْرِ على المكانةِ والعزّ والمِنعةِ فيقول:[٣]

وما الفَخْرُ إلّا أَنْ تَكُوْنَ عمامَتِي مُكَوَّرَةَ الأَطْرَافِ بالصَّارِمِ الهِنْدِي

الكناية في قوله "عمامتي مكورة الأطراف": **المعنى الحرفي:** إدارتُها

المعنى الكنائي: العزّ والمنعة، والحكمة **"الفخر هو التفاخر بالعزّ والمكانة"** وهذا تلميحٌ إلى مُخَاطَبِيْه "قومِهِ المنكِرِينَ له" بأنَّ النسبَ إليهم ليس فخراً له بل فخرهُ في شجاعتِهِ وفروسيَّتِهِ التي جابَتِ القبائل. وغايةُ خطابِه مع المخاطَبِ المستحضَرِ "الإنسان" أن يحرصَ المرءُ على ما يدعوهُ للفخرِ وهوَ المكانَةُ الشَّريفَة.

٢-٤-الاستعارة: وهي تشبيهٌ حُذِفَ أحدُ طرَفَيْهِ الأساسَين، وبالتالي فهي أخذُ صفاتِ المُستعارِ منه "المحذوف" وإسقاطُها على المُستعارِ لهُ "المذكور" هذا في الدَّرْسِ البلاغيّ، إلّا أنَّه في الدَّرْسِ التَّداوليّ فإنَّهُ ((تجسّدُ الاستعارةُ مثالاً جوهرياً لاستعمالِ اللغة إذْ يُدْرَكُ منها عادةً معنىً مقصودٌ يقعُ وراءَ البنيةِ المنجزةِ للملفوظِ أو الجملةِ، وبهذا فإنَّ

---

[١] السّكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد، *مفتاح العلوم*، ضَبَطَهُ وكتبَ هوامشَهُ وعلّق عليه نعيم زرزور، ط٢، (١٩٨٧)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ص٤٠٢.

[٢] *ديوانه*، شرح الطوسي، حنا نصر، ص١١٢ وهذا من القصيدة المشهورة له ومطلعها:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالعُ وتبقى الجبالُ بعدنا والمصانعُ ، وقد نقلها د. إحسان عبَّاس إلى شرحِهِ وتحقيقِهِ للديوان عنْ شرحِ الطوسي، انظر: شرح ديوان لبيد، تحقيق د. إحسان عباس، ص ١٦٨.

[٣] الخطيب التبريزي، *شرح ديوان عنترة*، ص٥٩.

الاستعاراتِ تبدو مرشِّحاتٍ قويةً للتَّحليلِ التَّداوليّ))[١] فقد يدلّكَ على الاستعارةِ جملةٌ أو ملفوظٌ كما أنَّ ملفوظاً واحداً يكشفُ المعنى المستلزَمَ من البنيةِ اللُّغويَّةِ التَّركيبيَّةِ للاستعارةِ، ولعلّ نصَّ "عنترة" الآتي يوضّح دورَ الاستعارةِ في التَّحليلِ التَّداوليّ يقول:[٢]

أعاتبُ دهراً لا يلينُ لعاتبِ وأطلبُ أمناً من صروفِ النوائبِ

وتوعدني الأيامُ وعداً تغرّني وأعلمُ حقّاً أنّهُ وعدُ كاذبِ

الاستعارة الأولى جملة	الاستعارة الثانية جملة	الاستعارة الثالثة ملفوظ وهي محور التلميح والحكمة	الحكمة
أعاتبُ دهراً	توعدني الأيام	"تغرّني" عند هذا اللفظ توضّح قصد الشاعر في ضيقه بالدهر وتلميحه إلى غدر الأيام به وخداعها له وهذا مرتبط بظروف الشاعر في بيئته ومحيطه	قوّة الدهرُ وخدعة الأيام

لقدِ اِجْتمعتِ الاِسْتعاراتُ كما رأينا لتَخرُجَ حكمةُ الشَّاعرِ في الدَّهْرِ نتيجةً عن ظروفِهِ المحيطَةِ اِجْتماعياً وبيئيّاً وبهذا نؤكّدُ أنَّ سياقَيّ الخطابِ اللغويّ والتَّواصليَّ مُجْتَمِعَيْن هما محورُ التَّحليلِ التَّداوليّ.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الاستعارةَ قد تُوقِعُ المرسَلَ إليهِ أمامَ مشكلةِ تحديدِ المقصودِ من صفاتِ المستعارِ منْهُ أي ((إنَّ التَّلميحَ ينصبُّ على أكثر من سِمة من سمات المستعار منه الدلالية))[٣]وهذا ما قد يؤدّي إلى فشل الخطاب إذا ما أوّلَ المُخاطَبُ الاستعارةَ أوِ التَّشبيهَ تأويلاً منافياً لمَا قصدَهُ المُرسِلُ، كما في خطاب الشاعر "علي بن الجهم" للخليفةِ العباسيّ "المتوكّل" في قوله:[٤]

أَنْتَ كَالكَلْبِ فِي حِفَاظِكَ للودِّ، وكالتَّيْسِ

أنتَ كالدَّلْوِ لا عَدِمْنَاكَ دَلْواً مِنْ كِبَارِ الدِّلَا كَثِيْرِ الذَّنُوْبِ

إذ تعدَّدَتِ الرّواياتُ في ردِّ فعلِ الخليفةِ ومَن يشهدُ الخطابَ منْ حاشيتِهِ فقيلَ: أرادَ الحاشيةُ قطعَ رأسِ الشَّاعرِ إلّا أنَّ الخليفةَ ردَّهم وذلك لأنّه تنبَّهَ لما في الشَّاعرِ من غِلْظَةٍ وبَدَاوةٍ اكْتَسَبَهَا مِنْ بيئتِه فأمرَ بأنْ يُفرَدَ لهُ جناحٌ في القصرِ أمامَ شُرفةٍ جميلةٍ وكانت بغدادُ أرضَ الجمالِ والطَّبيعةِ السَّاحرةِ فعادَ إليهِ الشَّاعرُ بعْدَ مدّةٍ بخطابٍ مُغايرٍ تَمَامَاً بقولِه:[٥]

عيونُ المَهَا بين الرَّصافةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي ولَا أَدْرِي

---

[١] *إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية*، ص٤١١.

[٢] الخطيب التبريزي، *شرح ديوان عنترة*، ص٣٥.

[٣] *إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية*، ص٤١٠.

[٤]علي بن الجهم، *ديوانه*، تحقيق خليل مردم بك، ط٣، (١٩٩٦)، دار صادر، بيروت – لبنان، ص ١٣٦، وانظر: الخماس، سعود بن يوسف، يوسف، *شرح الرصافية دراسة بلاغية*، (د.ت)، ص١.

[٥] علي بن الجهم، *ديوانه*، تحق: خليل مردم بك، ص١٣٥.

إنَّ فشلَ الخطابِ الأوَّلِ يعودُ إلى ما وظّفه المرسلُ من صورٍ وآليَّاتٍ بلاغيَّةٍ تجعلُ المعنى المستلزَمَ عنها ثنائيَّ الوَجْهِ ويكونُ التَّلميحُ إلى القَصْدِ منَ المشبَّهِ بهِ أوِ المُستعارِ منْهُ مُنصبّاً على وجهَيْنِ تِبعاً لعناصرِ هذا الطَّرَفِ في التَّشبيهِ أوِ الاستعارةِ، نجد ذلكَ في التَّشابيه الواردة في النَّص:

-الكلب: من عناصرِه: -"الوفاءُ" وهذا ما قصدَه المرسلُ

-"الوضاعةُ" (طبيعته الحيوانية) وهذا ما فهمَهُ حاشيةُ الخليفةِ

-التَّيس: من عناصرِه: -"الشِّدَّةُ والصَّبرُ" / قصد المرسل

- الغِلْظةُ وما في معناها / تأويلُ المخاطَبِيْن "حاشية الملك"

-الدَّلو: مِن عناصِرِه: -"السِّعَةُ" / وقصدُ المرسلِ مِن هذا العنصرِ " الكرم"

-ما يُفهم منه (فارغ)/ تأويل المخاطبين

- الذَّنوب: في هذه الكلمةِ لبْسٌ أيضاً إذ تُفْهَمُ للوَهلةِ الأولى أنَّها جمعُ (ذَنْب) وربَّما قد فهمها الحاشيةُ كذلكَ لكنَّ المعاجمَ تُدرِجُ تحتَ مادَّةِ (ذ ن ب) كلمةَ (ذَنوب) بفتحِ الذَّالِ أي كما وردَتْ في نَصِّ "ابنِ الحهم" وتتدرجُ تحتَها المعاني: الذَّنوب: الدلو العظيمة، ويُقال: لهُ ذَنوبٌ من كذا: نصيبٌ منه،[١] وفي التَّنزيلِ العزيز: {فإنَّ للذينَ ظلموا ذَنوباً مثلَ ذَنوبِ أصحابهم فلا يستعجلون}[٢]، وعلى هذا فإنَّ الشَّاعرَ قصدَ مَدْحَ الخليفة بأنَّ عندهُ نصيباً كبيراً وعطاءً كثيراً للمحتاجِيْنَ والفقراءِ، بينما كانَ تأويلُ المُخاطَبِين مغايراً تماماً، ونتيجةً لتعدُّدِ الوجوهِ فشلَ التَّواصلُ وفُهِمَ الخطابُ على غيرِ ما أرادَ المرسِلُ.

وفي سياقِ الحكمةِ الجاهليَّةِ وظَّفَ الشُّعراءُ "الاستعارة" أداةً لِما وُضِعَتْ لهُ في الشَّرحِ والتَّوضيحِ وإضفاءِ نفسيَّةِ المبدعِ كما أنّها كانَتْ أداةً كذلكَ للتَّلميحِ، يقول "السَّكاكيّ" ((إذا عرفتَ أنَّ إيرادَ المعنى الواحد على صورٍ مختلفةٍ لا يتأتّى إلّا في الدلالات العقلية، وهي الانتقال من معنىً إلى معنىً بسبب علاقةٍ بينهما، كلزومِ أحدِهما الآخر بوجهٍ من الوجوه، ظهر لكَ أنَّ علمَ البيانِ مرجعهُ اعتبار الملازمات بين المعاني))[٣] وهذا كان أساساً في تحليلِ النَّصِّ السَّابق، وفي اعتبار الملازمات بين المعاني نجد أنَّ كلمة "عدوّ" تستلزم عدَّةَ معانٍ يفترضُها التَّأويلُ ويرجِّحُ أنسبَها للسِّياقِ الحكميّ الدِّينيّ في قولِ "أمية بن أبي الصلت":[٤]

فكُن خائفاً للموتِ والبعثِ بعدَه ولا تَكُ ممّنْ غَرَّهُ اليومُ أو غَدُ

فإنَّكَ في دنيا غَرورٍ لأهلها وفيها عدوٌّ كاشحُ الصدرِ يُوقِدُ

يحضُّ الشَّاعرُ المخاطَبِين إلى ترْكِ ملذَّاتِ الدُّنيا والعملِ منْ أجلِ الآخرةِ، في سياقٍ دينيّ صِرْف إذْ يوافقُ ما جاءَ به القرآنُ الكريمُ في وصفِ الدُّنيا وذِكْرِ الموتِ والبعثِ: بسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيْم {كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ وإنّما توفَّون أجورَكم يومَ القيامة فمَنْ زُحزِحَ عن النارِ وأُدْخِلَ الجنّة فقد فاز وما الحياةُ الدنيا إلّا متاعُ الغرور}[٥] وقد أرادَ الشَّاعِرُ أنْ أنْ يثبتَ هذهِ العقيدةَ في صدرِ المخاطَبِ فاستخدَمَ الاستعارةَ التَّصريحيَّةَ في قولِهِ "فيها عدوٌّ" موظّفاً دورَها في التَّقبيحِ

[١] مدكور وآخرون، *المعجم الوسيط*، ص٣٢٨.

[٢] سورة الذَّاريات، الآية ٥٩.

[٣] *مفتاح العلوم*، ص٣٣٠.

[٤] أمية بن أبي الصلت، *ديوانه*، جمع وتحقيق ودراسة- صنعة الدكتور: عبد الحفيظ السطلي، ط٣، (١٩٧٧)، دمشق، ص٣٧٤.

[٥] سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

لينفِّرَ المخاطَبَ منَ الدُّنيا ورغباتِها ويأتي التَّلميحُ إلى قصدِهِ على وجوهٍ انطلاقاً من إمكانيّة تعدّدِ الاحتمالاتِ في تحديدِ المستعارِ منْهُ تبعاً للعناصرِ المستخدمةِ:

المشبه به: مُصَرَّح بهِ "العدوُّ" وعناصره المذكورة: –كاشح الصدر –يوقد

المشبه: محذوف واحتمالاته تبعاً للعناصر الآتية:

١–الموت: نظراً لإسقاطِ عنصرِ "كاشح الصدر" عليه، فالموتُ دائماً ما يكونُ مترصّداً للإنسانِ، لكنَّ هذا لا يناسبُ السِّياقَ الدِّينيَّ لأنَّ أهمَّ أركانِ الإيمانِ هوَ الإيمانُ بالموتِ والبَعْث.

٢–الدّهر: لتطابقِ عنصرِ "يوقد" وذاكَ أنَّ الدَّهرَ لا ينتهي من صراعٍ مع الإنسانِ حتَّى يُوْقِدَ لصراعٍ جديدٍ وهذا محتملٌ فكثيراً ما أشارَ الشُّعراءُ الجاهليُّونَ إلى سَطْوَةِ الدَّهْر.

٣–النَّفْس: نظراً لتطابقِها مع سياقِ النَّصّ، فإنَّ النَّفسَ أمّارةٌ بالسُّوءِ فهي كثيراً ما تكونُ مهلكةً لصاحبِها، وهذا الأكثرُ مناسبةً للسِّياق.

خاتمة: وبعْدَ دراسَتِنا لنصوصِ التُّراثِ وفقَ معطياتِ المناهجِ اللغويَّةِ الحديثةِ وجدْنا أنَّ للُّغةِ مواضَعَاتِها الَّتي تتوافقُ وكافَّةُ مستوياتِها حتَّى تعبّرَ عنْ معنى الخطابِ وقصدِ المرسِلِ في سياقٍ ومقامٍ مُعَيَّنَيْن ولا شكَّ أنَّ السِّياقَ يؤدّي دوراً كبيراً في اِخْتِيارِ المرسِلِ لهذهِ الإستراتيجيَّةِ من دون غيرِها، وبالتَّالي لهُ دورٌ في تغييرِ شَكْلِ الخطابِ، فقد عَرَفْنا في هذا البحثِ الإستراتيجيَّةَ التَّلميحيَّةَ ورأيْنا أنَّ المرسِلَ يستخدمُها اِحْتراماً أو خَجَلاً أو تهذيباً أو لأغراضٍ تواصليَّةٍ أُخرى، ولا شكَّ في أنَّ اِخْتلافَ ظروفِ السِّياقِ وعناصرِ الخطابِ المقاميَّةِ سيحدو بالمرسِلِ إلى اِخْتيارِ إستراتيجيَّةٍ أُخرى تتوافقُ وقَصَدَهُ مِنَ الخطابِ فقدْ يختارُ الإستراتيجيَّةَ التَّوْجيهيَّةَ في سياقٍ مؤسَّساتيٍّ يسْتلزِمُ الاسْتِعْلاءَ والتَّوْجِيْهَ، وقدْ يمرّرُ خطابَهُ ضِمْنَ الإستراتيجيَّةِ التَّضامنيَّةِ تعاضُداً معَ مُخاطَبِهِ في سياقاتٍ اِجْتِماعيَّةٍ وجدانيَّةٍ، وقدْ يختارُ الحجاجَ بوصْفِهِ إستراتيجيَّةً إقناعيَّةً في سياقاتٍ عِلْميَّةٍ ثقافيَّةٍ تُسَمَّى "المُنَاظَرَة" يسعى فيها كُلٌّ مِنْ طَرَفيّ الخطابِ إلى إثباتِ صحَّةِ ما يذْهبُ إلَيْهِ بالبرهانِ والدَّليْل. هذهِ الإمكاناتُ تدعو إلى مَزِيْدٍ منَ البَحْثِ وتُفْضي إلى نتائجَ مهمَّةٍ، أهمُّها:

١– أولويَّةُ السِّياقِ وأهمّيَّةُ دوْرِهِ في توْجيْهِ الخطابِ نحْوَ إستراتيجيَّةٍ مناسبةٍ للمقامِ.

٢– يتغيَّرُ شكلُ الخطابِ "سياقه اللغويّ" وفقاً للإستراتيجيَّةِ المُتَّبَعَةِ فيه كما تتغيَّرُ مقاصدُهُ.

٣– مركزِيَّةُ السِّياقِ التَّواصليّ وعناصرِ المقامِ في إعطاءِ الخطابِ دلالتَهُ للتَّعبيرِ عنِ القَصْد.

٤– ضرورةُ تآلُفِ السِّياقَيْنِ الدَّاخليّ والخارجيّ في أثناءِ العمليَّاتِ الذِّهنيَّةِ الاسْتدلاليَّةِ الَّتي يقومُ بها طرفا الخطابِ عنْدَ التَّلَفُّظِ بهِ مِنْ جهةِ الإرسالِ وتأويلِهِ مِن جهة التَّلَقّي ، وفي أثناءِ إعادةِ تفعيلِهِ مع كلّ قراءةٍ جديدةٍ مِن جهةٍ ثالثة وذاكَ كُلُّهُ في سبيلِ نجاحِ التَّواصُلِ الأوّل على الوَجْهِ المطلوب، ونجاحِ التَّداولِ في إعادةِ تفعيلِ النُّصوص.

٥– الحِكْمَةُ أدبٌ إنسانيٌّ مستمرٌّ نظراً لحاجةِ المجتمعاتِ الإنسانيَّةِ لهُ في كلّ عَصْر، وعلى هذا فإنَّ نصوصَ أدبِ الحكمةِ تستجيبُ للدَّرْسِ التَّداوليّ.

٦– الدَّرْسُ التَّداوليُّ هوَ الاسْتعانةُ بأكثر مِنْ منهجٍ أدبيٍّ أو لغويٍّ حسبَ ما يطلبُهُ الخطابُ وليْسَ هو خلْطاً غَيْرَ منظَّمٍ أوْ وهْماً يدَّعي التَّكامُلَ.

٧– ضرورةُ تَوَافُرِ الأرضيَّةِ المعرفيَّةِ المشتركَةِ بيْنَ المرسِلِ والمخاطَبِ مِنْ أجْلِ نجاحِ إستراتيجيَّةِ التَّلْميحِ وبالتَّالي نجاح الخِطاب.

المَرَاجِعُ:

القرآنُ الكَرِيْم

١- أبو حامد الغزاليّ، محمد، *المستصفى من علم الأصول*، تحقيق وتعليق د. محمد سليمان الأشقر، ط١، (١٤١٧هجري)، ج١، مؤسسة الرسالة.

٢- الأفوه الأودي، *ديوانه*، تحقيق: محمد ألتونجي، ط١، (١٩٩٨)، بيروت- لبنان، دار صادر.

٣- أمية بن أبي الصلت، *ديوانه*، جمع وتحقيق ودراسة- صنعة الدكتور: عبد الحفيظ السطلي، ط٣، (١٩٧٧)، دمشق- سوريا.

٤-التبريزي، الخطيب، *شرح ديوان عنترة*، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، ط١، (١٤١٢هجري/١٩٩٢ميلادي)، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي.

٥- الخماس، سعود بن يوسف، *شرح الرصافية دراسة بلاغية*، (د.ت).

٦- زهير بن أبي سلمى، *ديوانه*، شرحه وقدم له أ. علي حسن فاعور، ط١، (١٤٠٨هجري/١٩٨٨ميلادي)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

٧- السّكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد، *مفتاح العلوم*، ضَبَطَهُ وكتبَ هوامشَهُ وعلّق عليه نعيم زرزور، ط٢، (١٩٨٧)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلميّة.

٨- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، *إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*، ط١، (٢٠٠٤)، بنغازي- ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة.

٩- عبيد بن الأبرص، *ديوانه*، تحقيق وشرح د. حسين نصار، ط١، (١٣٧٧هجري/ ١٩٥٧ ميلادي)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٠- عشير، د. عبد السّلام، (د.ت)، *عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحِجاج*، د. ط، افريقيا الشرق.

١١- العلوي، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز، مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين، ط١، (١٤١٥هجري)، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

١٢- علي بن الجهم، *ديوانه*، تحقيق خليل مردم بك، ط٣، (١٩٩٦)، بيروت – لبنان، دار صادر.

١٣- عمر، أحمد مختار، *علم الدلالة*، القاهرة- مصر، عالم الكتب (١٩٩٣).

١٤-لبيد بن ربيعة، *ديوانه*، شرح الطوسي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور حنا نصر، ط١، (١٤١٤هجري/١٩٩٣ميلادي)، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي.

١٥- لبيد بن ربيعة العامري، شرح ديوانه، حققه وقدَّم له د. إحسان عباس، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت (١٩٦٢).

١٦- المتوكل، أحمد، *آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي*، سلسلة بحوث ودراسات رقم٥، الرباط- المغرب، جامعة محمد الخامس- كلية الآداب والعلوم الإنسانية (١٩٩٣م).

١٧- مدكور، إبراهيم؛ مصطفى، إبراهيم؛ الزيات، أحمد حسن؛ عبد القادر، حامد؛ النجار، محمد علي، *المعجم الوسيط*، ط٣، (١٩٩٣)، القاهرة- مصر، مجمع اللغة العربيَّة.